

مغزى زيارتي الى العراق

نبيل يونس دمان

كالمطائر المحلق أعود الى ارض الوطن كلما سنحت لي الظروف، إنها تعوض الفراغ الذي تركه بعدي البالغ أكثر من ثلاثة عقود. لم أهجّر وطني حباً بالغرب او بدافع اقتصادي، بل مرغماً تركته في سني ظالمة كانت ماكنة الحرب تطحن شبابه وتيّم أطفاله، وترمّل نساؤه، هكذا تركت الخضوع ورائي عام 1982، وكانت سنوات عودتي اليه على التوالي: 2002، 2010، 2011، 2012، وما سيدور الحديث عن رحلتي المشوقة التي غمرتني بفيض من السرور، سيما وانني إسطحبت بكري وذخري المهندس رافد دمان، الذي ولد فوق أرض اليمن، ولم يتسن له رؤية الوطن بل كان يسمع به، وعلى الدوام يطالبني أن يرى تلك الارض التي لولاها لما كان أحدنا ينطق بحرف او يدون شيئاً.

كالعادة إستقبلني الأحبة والاصدقاء بالترحاب وبادلونني المشاعر والأمنيات الطيبة، وكان هاجسي أن لا تطب لولدي الأمور في العراق، فيخيب ظني، لكنه برر ثقتي به وثبت ان التربية التي تلقاها منذ صغره لم تذهب هباءً، فأجاد التكلم مع الناس بلغتنا الام وللاسف لم يكن ينطق إلا القليل باللغتين الشقيقتين: الكردية والعربية، لكنه أصاخ السمع الى تلاوة القرآن الكريم من على مأذنة في مدينة الموصل وهو يصر أن يدخلها رغم المحاذير الأمنية، اما الكردية فقد حمل معه أغاني مسجلة على جهاز محمول وخصوصاً أغاني الخالد محمد عارف جزراوي، كم كانت دهشة الجميع وخصوصاً الاكراد بان الاغاني الكردية ترافقه ولا تفارقه إضافة الى الأغاني السريانية والعربية.

يشهد الوطن تحسناً أمنياً خصوصاً في الأماكن المتوترة، لقد تعب الناس وهم بحاجة الى الراحة وقطع الصلة مع الرصاص وهدر الدماء الذي إجتاحنا طوال عقود بل منذ انتكاسة ثورة 14 تموز الخالدة في عام 1963. كفى يا موطن الأجداد إقتتالاً وصراعاً عبثياً، كفى ولنتوحد الجهود وليكن الإخاء والبناء شعار الجميع، ظني ان الثروات التي يخترنها الوطن تفيض للجميع بالثروة والنعمة والسعادة، نحن أفضل بكثير من دول الخليج المجاورة فإضافة لاحتياطينا من النفط هناك الموارد المائية والزراعية والصناعية وقبل كل شيء الانسان الذي هو إستمرار لحضارات أولى في صرح البشرية من السومرية الى الأكديّة فالبابلية والأشورية.

تسنى لي حضور إحتفالات الذكرى الثمانين لربيع الحركة الوطنية العراقية في القوش لأول مرة أحضر حفلاً رائعاً، رأيت بأم عيني الأعلام الحمراء تخفق في الهواء يحملها فنية وشبيبة في اعمار الزهور وهم يلوحون بها مؤكدين استمرار النضال رغم ليل الفاشية الطويل الذي أفل قبل 11 عام، وجاءت الديمقراطية على أفساط ومراحل صعبة للغاية، ستتفرج الامور وتلوح في الأفق دعائم مجتمع عادل يرتكز على القوانين والذي يحتاج لبعض الوقت. أعقب إحتفال الحزب في قاعة وردة بعد أيام سفرة عائلية الى مصيف بهندوايا، ضمت السفرة موزاييك شعبنا من إسلام ومسيحيين وأيزيدية، وكذلك من مناطق الموصل والقرى العربية والكردية والتركمانية والاييزيدية، فكان طابعاً شمولياً ينأى عن القومية الضيقة والطائفية المقيبة ويتبارى ويعبر عن التضامن والتآخي والمحبة والطور الاجتماعي الحضاري الذي يتحدى الظلام والسلفية ونحو عراق حر ديمقراطي وسعيد.

وشهدت أيضاً ولأول مرة مسيرة رأس السنة الآشورية البابلية (أكيتو) حيث حضرت منذ صباح الاول من نيسان الأغر ساحة تجمع الآلاف من حملة الأعلام البنفسجية والازياء الشعبية التراثية، وهم يلوحون باعلام شعبنا ويحملون شعارات النضال القومي المتواصل منذ أوائل القرن العشرين، مسيرة راجلة كبرى شارك فيها أبناء شعبنا من مناطق البلاد المختلفة، وقف أصحاب المحلات والدوائر امام محالهم يحيون المسيرة فيما وقف الناس من مختلف الاجناس والاعمار فوق أسطح منازلها مبتهجين وهم يصورون المسيرة الزاهية حتى وصولها أجمل منطقة في دهوك الا وهي كلي دهوك وعلى مقربة من السد السياحي وامام جبل مرتفع، توالى الكلمات فالاغاني والديكبات والموسيقى الصادحة فيما سعد شباب أقوياء الى القمم العالية ليركزوا ويثبتوا الاعلام البنفسجية على الصخور العظيمة، فتخفق في منظر أخاذ جلب انتباه الجميع وخصوصا المصورين وقد لا يخلو مشارك من آلة التصوير او التلفون النقال.

آليت على نفسي ان ازور مثنوى اجدادي كلما سنحت الفرصة والظروف، واخطط ان يكون قضاء فترة ما بعد التقاعد عن العمل في ربوعه، حيث يطيب لي ان يركن جسدي ترابه في آخر المطاف.

والآن الى بعض الصور التي التقطت للفترة من 22-3-2014 الى 5-4-2014



جسر الدلال في زاخو



دير الريان هرمزد



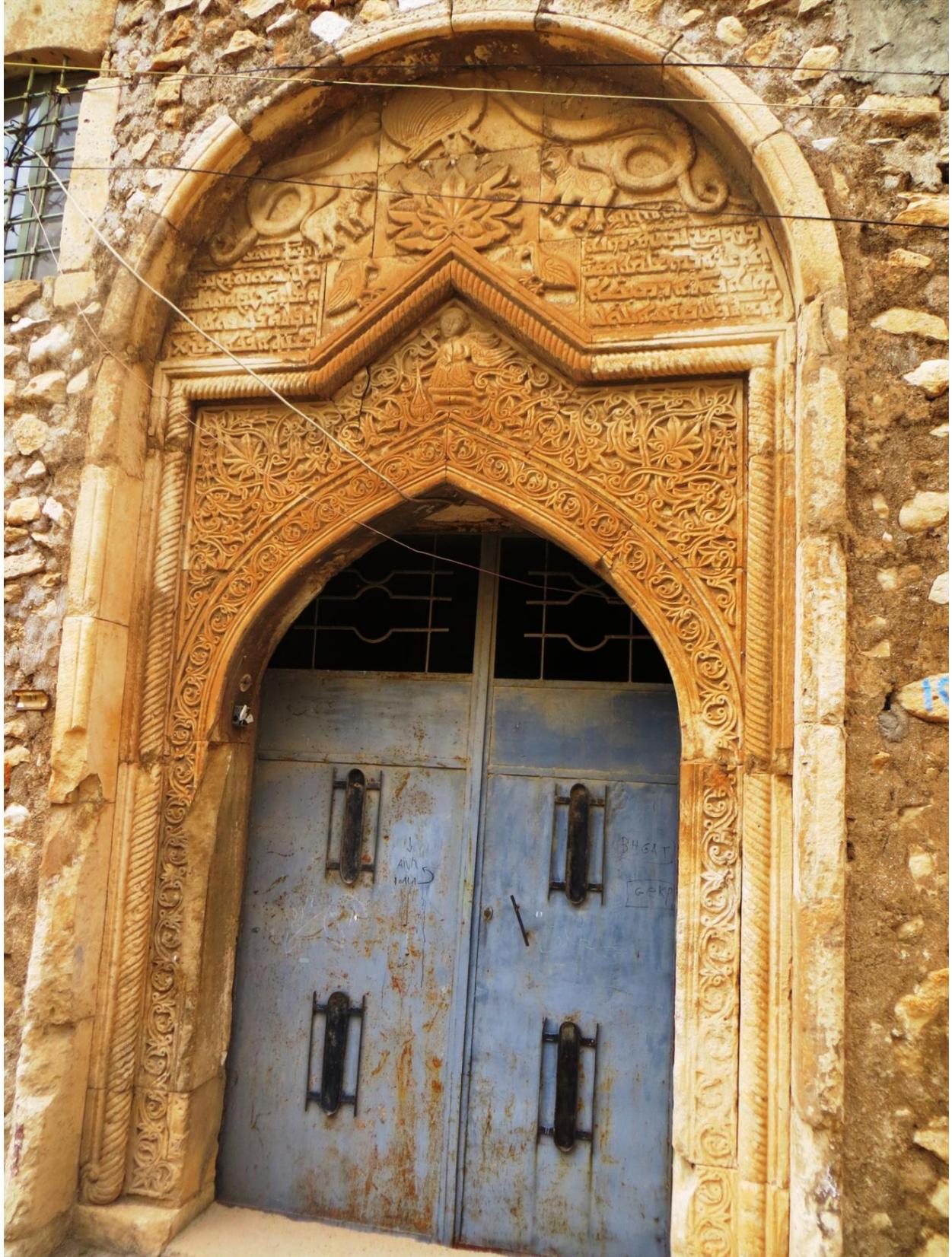
القوش من على الجبل



حوض حجري مزخرف في دير الريان هرمزد



منظر من احدى قلايات دير الربان هرمزد



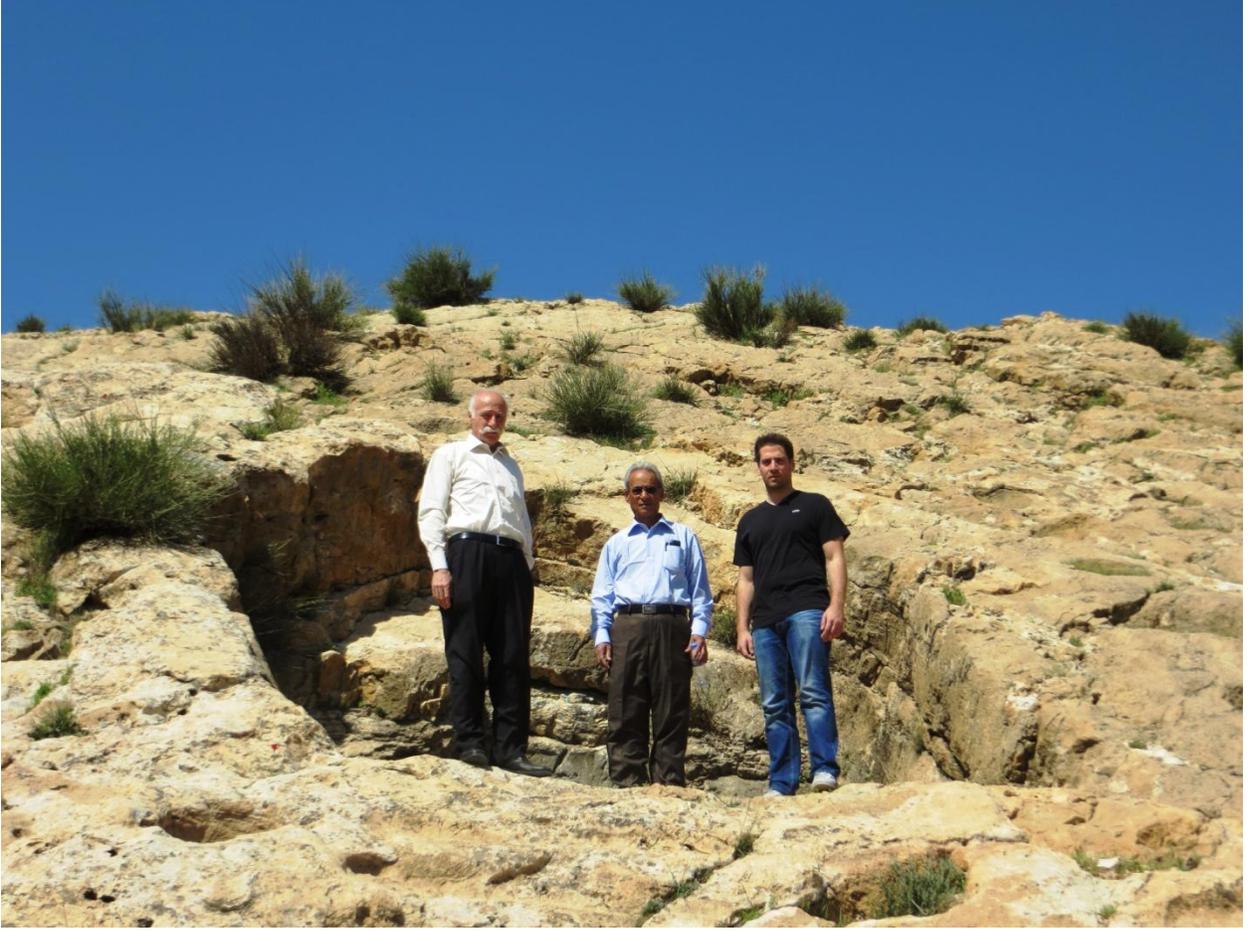
بوابة بيت المرحوم الياس بتو بولا في القوش



بقايا قصر المرحوم عزيز ياقو في فيشخابور



المسيرة البنفسجية في اكيثو بدهوك



تحت أقدام شيرو ملكثا في بهندوايا